ابو حيان التوحيدي

- ٢ -

نموذج من كتاب المحاضرات

اقتبس ياقوت في ترجمة ابي سعيد السيرافي « شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل » شيخ ابي حيان — المناظرة البديعة التي جرت بين ابي بشر متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي نأخذ بعض فقراتها . قال ابوحيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي : اكتب هذه المناظرة على التمام ، فان شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه ، وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ، ينبغي ان يغتنم سماعه ، وتوعى فوائده ، ولا يتهاون بشيء منه . وكان في جملة من حضر ذاك المجلس الذي انعقد سنة عشرين وثلاثمائة : الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمر وقدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان . قال التوحيدي فقال لي الوزير : اين ابو سعيد من ابي علي ، واين علي بن عيسى منهما ، واين ابن المراغي ايضاً من الجماعة . وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن جيوبه فكان مني الجواب : ابو سعيد اجمع لشمل العلم ، وانظم لمذاهب العرب ، وادخل في كل باب ، واخرج عن كل طريق ، والزم للجادة الوسطى في الدين والخلق ، واروى للحديث ، واقضى في الأحكام ، وافقه في الفتوى . واحضر بركة على المختلفين واظهر اثراً في المقتبسة .

ومما جاء في هذه المناظرة في اللغات والترجمة : ان لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره ... فمن اين يجب ان نثق بشيء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ترجم لك على هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى تعرف المعاني اليونانية على ان المعاني لا تكون يونانيـة ولا هندية كما ان اللغات لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركيـة ... ومن فقرها قال ابو سيعد : فانت (اي متى) اذاً لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لا تعرف لغة يونان ، فكيف صرت تدعونا الى لغة لا ثقي بها وقد عفت منذ زمان طويل ، و باد اهلهـا ، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ، و يتفاهمون اغراضهم بتصرفها ، على انك تنقل من السريانية ، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان الى لغة أخرى سريانية ، ثم من هذه الى لغة أخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض ، وادت المعاني ، واخلصت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت وما حرفت ، ووزنت وما جزفت ، وانها ما التـاثت ، ولا حافت ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدمت ولا اخرت ، ولا اخلت بمعنى الخاص والعـام ، ولا باخص الخاص ولا باعم العام . وان كان هذا لا يكون ، وليس في طبائع اللغات ، ولا في مقادير المعاني . فكأنك تقول بعد هذا لا حجة الا عقول يونان ، ولا برهان الا ما وضعوه . ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة ، والبحث عن ظاهر هذا العالم و باطنه وعن كل مايتصل به ، و ينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ماظهر ، وانتشر ما انتشر ونشأ ما نشأ من انواع العلم واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم مبثوث في العالم . ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوَه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في مكان دون مكان و كثرت صناعة في بقعة دون صناعة وهذا واضح والزيادة عليـه مشغلة . ومع هذا فانما كان يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالعصمة الغالبة والفطرة الظاهرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء ويصدقون في امور ويكذبون في امور ويحسنون في احوال ويسيئون في احوال ....

قال ابوحيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ صالح باملائه وكان ابو سعيد روى لمعاً من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ماقلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد اختل كثير منه . قال علي بن عيسى : ونقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة . وقال له الوزير ابن الفرات : عين الله عليك ايها الشيخ فقد ندبت اكباداً واقررت عيوناً وبهضت وجوهاً وحكت طرازاً لاتبليه الايام ولايتطرقه الحدثان قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه [1] .

نموذج من كتاب الامتاع

نقل القفطي ان السبب في تأليف التوحيدي كتاب الإمتاع والمؤانسة ان اباسليمان المنطقي أستاذ التوحيدي في الفلسفة — وكانت داره في دار السلام مقيل اصحاب العلوم القديمة — كان لانقطاعه عن الناس ، ولزومه مجلسه ، يشتهي الاطلاع على اخبار الدولة ، وعلم ما يحدث فيها ، بمكان من يغشاه من الاجلاء ، ينقل اليه بعض اخبارها ، وكان ابوحيان من بعض المعتصمين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الاخبار ومما علمه من ذلك نقله اليه ، وحاضره به ، ولاجله صنف كتاب الإمتاع والمؤانسة ، نقل له فيه ما كان يدور في مجلس ابي الفضل عبدالله بن العارض الشيرازي عندما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة . قال : وهو كتاب ممتع على التحقيق ، لمن له مشاركة في فنون العلم ، فانه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة . قال القفطي : وما احسن

(١) لهازم ج لهزمة وهما عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مارأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض اهل جزيرة صقلية وهو : ابتدأ ابوحيان كتابه صوفياً ، وتوسطه محدثاً ، وختمه سائلاً ملحفاً اه . وفي الكلام الاخير صورة صغيرة مما كان يعاب على اخلاق ابي حيان وقد لا يجد المدافع معذرة يعتذر بها عنه .

واليكم نموذجاً آخر من كتاب الإمتاع قال ابو حيان وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه ثم قال : واما مسكويه ففقير بين اغنياء وغني بين ابناء ، لانه شاذ وانما اعطيته في هذه الايام صفو الشرح لايساغوجي وقاطيغوريا س من تصنيف صديقنا بالري . وقال الوزير ومن هو ؟ قلت : ابوالقاسم الكاتب غلام ابي الحسن العامري ، وصحبه معي وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد اباسليمان المنطقي ، وليس له فراغ ، لكنه مخبت في هذا الوقت للحسرة التي لحقته مما فاته من قبل فقال : ياعجباً لرجل صحب ابن العميد وابا الفضل ورأى ماعنده وهذا حظه قلت : قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك الهمة في طلبه ؛ والحرص على اصابته ، مفتوناً بكتب ابي زكريا وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرص بروق تأتلق ، والاوطار في عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس عن قرابتها تذوب وتحترق ، ولقد قطن العامري الري خمس سنين ، ودرس واملى ، وصنف وروى ، فما اخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ، ولاوعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سد . ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلقم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع باذنه قوارع الندامة من اصدقائه ، حين ماينفع ذلك كله ، وبعد هذا فهو زكي حسن ... نقي اللفظ وان بقي عساه يتوسط هذا الحديث ، وما ارى ذلك مع كلف بالكيمياء وانفاق زمانه ، وكد بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط والكسرة والخرقة ، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ، ومفارقته بالعمل .

قلنا وهذا الحكم على ابن مسكويه وهو من الفلاسفة ايضاً فيه من القسوة مافيه ، بل هذا الحكم على معاصريه ، وان كان اكثره صحيحاً يوغر ولاشك الصدور و يوفر الاحقاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والطوائل ، والنفوس البشرية قد تتأذى بكشف حقائقها . اما هو فمنزعه واحد وهو ما قاله في آخر كتاب اخلاق الوزيرين « ولكن النقص ممن يدعي التمام اشنع ، والحرمان من السعيد المأمول فاقرة ، والجهل من العالِم منكر ، والكبيرة ممن يدعي العصمة جائحة ، والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب » . ومن الانصاف ان نقول ان التوحيدي اجاد كل الاجادة في التعريف بالرجال ووقفنا على نفسياتهم ونزائعهم ، وليس هذا بالامر السهل ، وما كل من كتبوا في العرب نظروا الى هذه المظاهر من الناس .

مثال آخر من كتاب الإمتاع

جماعة اخوان الصفا

سأل الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة اباحيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٢ عن اخوان الصفا بقوله : اني لا ازال اسمع من زيد بن رِفاعة قولاً يريبني ، ومذهباً لا عهد لي به ، وكناية عما لا أحققه ، واشارة الى ما لا يتوضح شيء منه ، يذكر الحروف ويذكر النقط ويزعم ان الباء لم تنقط من تحت واحدة الا لسبب والتاء لم تنقط من فوق اثنتين الا لعلة والالف لم تُعجم الا لغرض واشباه هذا . واشهد منه في عُرض ذلك دعوى يتعاظم بها وينتفخ بذكرها فما حديثه وما شأنه وما دخلته فقد بلغني يا اباحيان انك تغشاه وتجلس اليه وتكثر عنده ولك معه نوادر معجبة . ومن طالت عشرته لانسان صدقت خبرته وامكن اطلاعه على مستكنّ رأيه وخافي مذهبه . فقلت ايها الوزير : انت الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثاً بالاختبار والاستخدام وله منك الإمرة القديمة والنسبة المعروفة فقال : دع هذا وصِفه لي فقلت : هناك ذكاء غالب وذهن وقاد ومتسع في قبول النظم والنثر مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة وحفظ ايام الناس وسماع المقالات وتبصر في الآراء والديانات وتصرّف في كل فن اما بالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفحم . قال : فعلى هذا ما مذهبه قلت : لا ينسب الى شيء ولا يعرف برهط لجيشانه بكل شيء وغليانه بكل باب ولاختلاف ما يبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه وقد اقام بالبصرة زمناً طويلاً وصادف بها جماعة لاصناف العلم وانواع الصناعة منهم ابو سليمان محمد بن معشر البستي و يعرف بالمقدسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وابو الحسن علي بن هرون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم .

وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا : ان الشريعة قد دُنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة عمليها وعمليها وافردوا لها فهرساً وسموها « رسائل اخوان الصفاء » وكتموا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة .

قال الوزير : فهل رأيت هذه الرسائل قلت : قد رأيت جملة منها وهي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات . وحملت عدة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها اياماً وتبحرها طويلاً ثم ردها عليّ وقال : تعبوا وما اغنوا وتصببوا وما اجدوا وحاموا وما وردوا وغنّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا فقلقلوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انه يمكنهم ان يدسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى الذي هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذي هو اعتبار الاقوال بالاضافات والكميات والكيفيات في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونه حدّ (ممتنع باطل) وقد تورد على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا احدّ انياباً واحضر اسباباً واعظم اقداراً وارفع اخطاراً واوسع قوىً واوثق عرىً فلم يتم لهم ما ارادوه ولا بلغوا منه ما املوه وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات واضحة موحشة وعواقب مخزية فقال له البخاري ابن العباس : ولم ذلك ايها الشيخ فقال : ان الشريعة مأخوذة عن الله عزّ وجلّ بوساطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه ولا بد من التسليم المدعو اليه والمنبّه عليه وهناك يسقط « لِمَ » و يبطل « كيف »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

و يزول «هلا» و يذهب « لو وليت » في الريح الخ (عن تراجم الحكماء) . هذه حقيقة جمعية اخوان الصفا . وصفها التوحيدي اجمل وصف وابلغ في كلامه على زيد بن رفاعة وكان شيخنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري كثيراً ما قال ان زيد بن رفاعة والخليل بن احمد وابا الاسود الدؤلي كانوا من افراد الدنيا وما احلى قول التوحيدي في ابن رفاعة انه تصرف في كل فن اما بالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفحم .

كتاب تقريظ الجاحظ

هذا الكتاب ينقل عنه ياقوت احياناً ونقل عنه الجرجاني في كنايات الادباء كما نقل ايضاً عن كتاب الذخائر او النظائر قال : قرأت بخط ابي حيان التوحيدي في كتابه الذي الفه في تقريظ الجاحظ وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ فقال ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم ير مثله قط بلا نقيصة ولا تحاش ولا اشمئزاز ولا استيحاش علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل مع تأله وتنزه ودين و يقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة .

ونقل ياقوت ايضاً جملة من هذا الكتاب فقال : ومنهم (اي من الذين قدمهم التوحيدي على الجاحظ وفضلهم) ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة . افتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني فما جاراه فيه احد ولا سبقه الى اتمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله .

وهذا الكتاب من عجائب التوحيدي ايضاً فانه على ما ظهر من هذين النموذجين فيما نرى في وصف السيرافي والرماني انه فضلهما على الجاحظ في هذا الاختصاص وهذا موضع نظر ايضاً

مثال آخر من هذا الكتاب عن طبقات الادباء لياقوت : قال ابو حيان في كتاب تقريظ الجاحظ ومن خطه الذي لا ارتياب فيه نقلت قال : قلت لابي محمد الاندلسي يعني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عبدالله بن حمود الزبيدي وكان من عدد اصحاب السيرافي وله في هذا الكتاب ذكر . قد اختلف اصحابنا في مجلس ابي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وابي حنيفة صاحب النبات ووقع الرضى بحكمك فما قولك ؟ فقال : انا أحقر نفسي عن الحكم لها وعليها فقال : لا بد من قول . قال : ابو حنيفة اكثر ندارة وابو عثمان اكثر حلاوة ومعاني ابي عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع ولفظ ابي حنيفة اعذب واعرب وادخل في اساليب العرب قال ابو حيان : والذي اقول واعتقده وآخذبه واستهام عليه اني لم اجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على نقر يظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في اخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى ان يأذن الله بزوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم . هذا الشيخ الذي انشأنا له هذه الرسالة وبسببه جشمنا هذه الكلفة اعني اباعثمان عمرو بن بحر والثاني ابو حنيفة الدينوري فانه من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب له في كل فن ساق وقدم ورُواء وحكم وهذا كلامه في الانواء يدل على حظ وافر من علم النجوم واسرار الفلك فاما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلام ابدى بدوي وعلى طباع افصح عربي . ولقد قيل لي ان له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ما رأيته وانه ماسبق الى ذلك النمط هذا مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وقد وقف الموفق عليه وسأله وتحفى به . والثالث ابو زيد احمد بن سهل البلخي فانه لم يتقدم له شبيه في الاعصر الأُول ولا يظن انه يوجد له نظير في مستأنف الدهر ومن تصفح كلامه في كتاب اقسام العلوم وفي كتاب اخلاق الامم وفي كتاب نظم القرآن وفي كتاب اختيار السيرة وفي رسائله الى اخوانه وجوابه عما يسأل عنه وبديه به علم انه بحر المحور وانه عالم العلماء وماروي في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه وان القول فيه لكثير ولو ناصرت الينا اخبارهما لكنا نحب ان نفرد لكل واحد منهما تقريظاً مقصوراً عليه وكتاباً منسوباً اليه كما فعلت بابي عثمان اه .

مثال من مثالب الوزيرين

قال ابو حيان : حدثنا ابو بكر الصيمري قال : حدثنا ابن سمكة قال : حدثنا ابن محارب قال : سمعت احمد بن الطيب يقول ان صديقاً لابن ثوابة الكاتب ابي العباس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يكنى اباعبيدة قال له ذات يوم : انك بحمدالله ومنّه ذو أدب وفصاحة و براعة فلو اكملت فضائلك بان تضيف اليها معرفة البرهان القياسي وعلم الاشكال الهندسية الدالة على حقائق الاشياء وقرأت اقليدس وتدبرته . فقال له ابن ثوابة : وما كان اقليدس ومن هو قال : رجل من علماء الروم يسمي بهذا الاسم وضع كتاباً فيه اشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الاشياء المعلومة والمغيبة يشحذ الذهن ويدقق الفهم ويلطف المعرفة ويصفي الحاسة ويثبت الروية ومنه افتتح الخط وعرفت مقادير حروف المعجم قال له ابوالعباس بن ثوابة : وكيف ذلك قال : لاتعلم كيف هو حتى تشاهد الاشكال وتعاين البرهان فقال : فافعل ما بدالك . فأتاه برجل يقال له قويري مشهور ولم يعد اليه بعد ذلك . قال احمد بن الطيب : فاستظرفت ذلك وعجبت منه فكتبت الى ابن ثوابة رقعة نسختها . بسم الله الرحمن الرحيم اتصل بي جعلت فداك ان رجلاً من اخوانك اشار عليك بتكميل فضائلك وتقويتها بشيء من معرفة القياس البرهاني وطمأنينتك اليه وانك أصغيت الى قوله وأذنت له فاحضرك رجلاً كان غاية في سوء الادب معدناً من معادن الكفر واماماً من أئمة الشرك لاستغرارك واستغوائك يخادعك عن عقلك الرصين وينازلك في ثقافة فهمك المبين فأبى الله العزيز الا جميل عوائده الحسنة قِبلك ومننه السوابق لديك وفضله الدائم عندك بان تأتي على قواعد برهانه من ذرونه وتحظ عوالي اركانه من اقصي معاقد أسه فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك ليكون شكري لك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على ما كان منه ولأتلافي الفارط في ذلك بتدبير المشيئة ان شاء الله تعالى .

قال فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختهـا : بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت رقعتك أعزك الله وفهمت فحواها وتدبرت متضمنهـا واخبرك اتصل بك والامر كما بلغك وقد خصصته وبيننا حتى كأنك معنا وشاهدنا واول ما اقول الحمدلله مولى النعم والمتوحد بالقسم اليه يرد علم الساعة واليه المصير وانا اسأل ايزاع الشكر على ذلك وعلى ما منحنا من ودك واتمامه بيننا بمنه .

وهنا ذكر ما وقع له واظهر تأففه من علم الهندسة ولعن الوسيط له الى معلمها على صورة مضحكة تخرج بنا ان اقتبسناها عن الغرض الذي قصدنا . وقد عقب عليها ياقوت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد ان نقلها برمتها في ترجمة احمد بن محمد بن ثوابة بقوله : لاشك انا كثر ما في هذه الرسالة مفتعل مزوّر وما اظن برجل مثل ابن ثوابة وهو بمكانة من العلم بحيث تلقى اليه مقاليد الخلافة فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني و يرتضيه العقلاء والوزراء، بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه في براعة لسانه تولى كتابة الانشاء السنين الكثيرة ان يكون منه هذا كله . ولكن عسى ان يكون منه ما كان من ابن عباد وهو الذي ساق ابوحيان خبر ابن ثوابة لاجله وهو ان قال كان ابن عباد يسب اصحاب الهندسة و يقول جاءني بعض هؤلاء الحمق ورغبني في الهندسة فابتدأ فأثبت خمسة وعشرين وخط خطاً ووضع شكلاً وطول وزعم انه يعمل برهاناً على ذلك فقلت له : كنت اعرف ان هذا خمسة وعشرون ضرورة وقد شككت الآن فأنا مجتهد حتى اعلم بالاستدلال وهذا هو الخسار . قال ياقوت ومثل هذا لا يبعد ان يقول مثله من لم يتدرب بهذه الصناعة فاما ما تقدم من حديث ابن ثوابة فهو غاية في التجلف والرجل كان اجل من ذلك وانما أُتي اما من جهة احمد بن الطيب لانه كان فيلسوفاً وكان ابن ثوابة متمجرفاً كما ذكرنا فأخذ يسخر منه ليضحك المعتضد فان احمد بن الطيب كان من جلساء المعتضد واما ان يكون ابوحيان جرى على عادته في وضع ما اكثر من وضعه من مثل ذلك والله اعلم . وعندنا ان التوجيه الاول اوجه اي حمل هذا الكتاب على اختراع احمد بن الطيب للاضحاك والهزوء والتوحيدي اورد الرسالتين على علاتهما كأن لسان حاله لم آمر بها ولم تسؤني .

مثال من كتابه الصداقة والصديق

قال في مقدمة هذا الكتاب « اللهم خذ بايدينا فقد عثرنا واسترعلينا فقد اعورنا وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب وتنقى الجيوب حتى نعيش في هذه الدار مصطلحين على خير مؤثرين للتقوى عاملين شرائط الدين آخذين باطراف المروءة آنفين من ملابسة مايقدح في ذات البين متزودين للعاقبة التي لابد من الشخوص اليها ولامحيد عن الاطلاع عليها انك تؤتي من تشاء ما تشاء .

« سمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والألفة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمؤاساة والجود والتكرم مما قدار نفع رسمه بين الناس وعفى اثره عند العام والخاص وسئلت إثباته ففعلت ووصلت ذلك بجملة مما قال اهل الفضل والحكمة وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن ان يستفاد منها وينتفع بها في المعاش والمعاد . وسمعت الخوارزمي ابابكر محمد بن العباس الشاعر البليغ يقول : اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت ، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت ، ولا تمتني حتى يبور الجهل ، كما بار العقل ، ويموت النقص كما مات الفهم . وأقول : اللهم اسمع واستجب ، فقد برح الخفاء ، وغلب الجفاء ، وطال الانتظار ، ووقع اليأس ، ومرض الامل ، واشفى الرجاء ، والفرج معدوم ، وأظن ان الداء في هذا الباب قديم ، والبلوى فيه مشهورة ، والعجيج منه معتاد .

« فأول ذلك اني قلت لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني إني ارى بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومؤاتاة خُلُقية . فمن اين هذا و كيف هو ؟ فقال : يابني اختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طُمأنينة وسكوناً لا يرثان على الدهر ، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع ، ومواقع الكواكب ، مشاكلة عجيبة ، ومظاهرة غريبة ، حتى انا نلتقي كثيراً في الارادات والاختيارات ، والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني باشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بامور حدثت لي في ذلك الاوان ، حتى كأنها قسائم بيني وبينه ، او كأني هو فيها او هو انا ؛ وربما حدثته برؤيا فيحدثني باختها ، فنراها في ذلك الوقت اوقبله بقليل او بعده بقليل . قال : ورأيته قد ملكه التعجب من هذا وشبهه ، فحدثته بما ننقاسمه من قوى الفلك ، وان سهامنا واحدة ، وأنصابنا منها متساوية ، او قريبة من التساوي ، فعجب وازداد بصيرة في إخلاص الصداقة ، وتوكيد العلاقة . فقلت لابي سليمان كيف يصح هذا ، وانت مطالبك في الفلسفة ، وصورك مأخوذة من الحكمة ، وقُتَيْبَتُك [1] مجموعة من الحقائق ، وخوضك في الغوامض والدقائق ، وذاك رجل في عداد القضاة ، وجلة الحكام ، واصحاب القلانس ، ومخاضة (؟) الظاهر

(١) القُتيبة تصغير القتبة وهي الامعاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذي عليه الجمهور ، ومأخذه مما عليه السواد الاعظم . فقال : هـذا هو الذي انفردنا عنه ، بعد ان ازدوجنا عليه ، والاصل ابداً مخالف للفرع ، لاخلاف الضد للضد ، ولكن خلاف الشكل للشكل ، وكان مشتريه خالياً من قوة زحل ، فبرز في حلبة القضاة ، وكان المشتري لي مقتبساً من زحل ، فظهرت بما ترى ، فجمعتنا المشاكلة على العلم ، وفرقنا الاختلاف بالفن .

قلت : هذا والله ظريف ، ومما يزيد في طرافتـه انك من سجستان وهو من الصَيْمَرة فقال : الامكنة في الفلك أشد تضاماً من الخاتم في إصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذي تجده بالمسافة الارضية ، من بلد الى بلد ، بفراسخ تقطع ، وجبال تعلى ، وبحار تُخرق ، فقلت : هل تجد عليه في شيء او يجد عليك في شيء فقال : وجدي به في الاول ، قد حجبني عن موجدتي عليه في الثاني ، على انه يكنني مني فيما خالف هواي باللمحة الضئيلة ، واكتفي انا ايضاً منه في مثل ذلك بالاشارة القليلة . وربما تعاتبنا على حال تُعرض على طريق الكناية عن غيرنا ، كأننا نتحدث عن قوم آخرين ، ويكون لنا في ذاك مقنع ، واليه مفزع . وقلما نجتمع الا ويحدثني عني باسرار ما سافرت عن ضميري الى شفتي ، ولا ندّت عن صدري الى لفظي ، وذاك للصفاء الذي نتساهمه ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع اليه ، والاصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصداقته حُمْر النَعَم ، ولا أجد بها بحياتي ما اجد بحياتي لي واذا كنت اعشق الحياة لاني بها أحيا كذلك أعشق كل ما وصل الحياة بالحياة وجنى لي ثمرتها وجلب الي روحها وخلط بي طيبها وحلاوتها .

وكان ابو سليمان يحدثني عن ابن سيار بعجائب واما انا فما عرفته الا قاضياً جليلاً صاحب جَدٍّ وتفخيم وتوقير وتعظيم وكان مع ذلك بسيط اللسان شريف اللفظ واسع التصرف لطيف المعاني بعيد المرامي بذهب مذهب ابي حنيفة .

تعريف للصداقة وضروب للاصدقاء

« ثم قال ابو سليمان : الصداقة التي تدور بين الرغبة والرهبة شديدة الاستحالة وصاحبها من صاحبه في غرور والزلة فيها غير مأمونة وكسرها غير مجبور . قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاما الملوك فقد جلوا عن الصداقة ولذلك لاتصح لهم أحكامها ولا توفي معهودها وانما أمورهم جارية على القدرة والقهر والهوى والشائق والاستملاء والاستخفاف واما خدمهم واولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم · ونهاية المشاكلة لهم لانتشابهم بهم (انتشب فيه اعتلق) وانتسابهم اليهم وولوع طورهم بما يصدر عنهم و يرد عليهم · واما الندماء واصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير · واما التجار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة وحاجز لهم عن كل مايتعلق بالفتوة · واما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم ربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى وتأسيسها على أحكام الحرج وظلب سلامة العقبى · واما الكتاب واهل العلم فانهم اذا خلوا من التنافس والتحاسد والتباري والتماحك فربما صحت لهم الصداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل وهذا القليل من الاصل القليل · واما أصحاب المذاب والتطفيف[1] فانها رجرجة[2] بين الناس · لا محاسن لهم فتذكر ولا مساعي فتنشر ولذلك قيل لهم همج ورعاع وأوباش وأوتاش[3] ولغيف[4] وزعانف وداصة[5] وسقاط وانذال وغوغاء لانهم من دقة الهمم وخساسة النفوس ولؤم الطباع على حال لا يجوز ان يكونوا في حومة المذكورين وعصابة المشهورين · فلهذه الامور الحائلة عن مقارها الزائغة الى غير جهاتها علل واسباب لو نفس الزمان قليلاً لكنا ننشط لشرحها وذكر ماقد اتى النسيان عليه وعفى اثره الاهمال وشغل عنه طلب القوت ومن اين يظفر بالغذاء من كان عاجزاً عن الحاجة و بالعشاء من كان قاصراً عن الكفاية و كيف يحتال في حصول طمرين للستر لا للتجمل و كيف يهرب من الشر المقبل و كيف يهرول وراء الخير المدبر و كيف يستعان بمن لا يعين و يشتكى

(١) التطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل او وزن والمطففون الذين ينقصون المكيال والميزان والمذاب جمع مذبة بكسر الميم مايذب به الذباب وهي هنة تسوى من هلب الفرس و يقال أذنابها مذابها وهو مجاز · (٢) الرجرجة بقية ماء مختلط بطين في أسفل الحوض و يطلق على الحمق والمهازيل · (٣) الوتش القليل من كل شيء ورذال الناس ولعلها الأوقاش وهم الأوباش · (٤) اللغيف من يأكل مع اللصوص و يحرس ثيابهم ولا يسرق معهم · (٥) جمع دائص وهو اللص او من يتبع الولاة ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى غير رحيم ولكن حال الجريض دون القريض[١] .

ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والاسف والحسرة والغيظ والكمد والومد وكأني بغيرك اذا قرأها تقبضت نفسه عنها وامر نقده عليها وانكر عليّ التطويل والتهويل بها . وانما اشرت بهذا الى غيرك لانك تبسط من العذر مالا يجود به سواك وذاك لعلمك بحالي واطلاعك على دخلتي واستمراري على هذا الانقاض والعوز اللذين قد نقضا قوتي ونكثا مرتي وأفسدا حياتي وقرناني بالأمى وحجباني عن الأمى لاني فقدت كل مؤنس وصاحب ومرفق مشفق والله لربما صليت في الجامع فلا ارى الى جنبي من يصلي معي فان اتفق فبقال اوعصار او نداف اوقصاب ومن اذا وقف الى جانبي أسدرني[٢] بصُنانه وأسكرني بنتنه . فقد أمسيت غريب الحال غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخُلُق مستأنساً بالوحشة قانعاً بالوَحدة معتاداً للصمت ملازماً للحيرة محتملاً للاذى يائساً من جميع من ترى متوقعاً لما لا بد من حلوله فشمس العمر على شفا وماء الحياة الى نضوب ونجم العيش الى افول وظل التلبث الى قلوص اه » .

سبب تأليف الصداقة والصديق ومرمى التوحيدي في صنعة الرسائل

وقال التوحيدي بعد ذكر هذه المقدمة ان سبب انشائه هذه الرسالة في الصداقة والصديق انه ذكر « شيئاً منها لزيد بن رفاعة ابي الخير فنماه الى ابن سعدان الوزير ابي عبدالله سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله اعباء الدولة وتدبيره امر الوزارة حين كانت الاشغال خفيفة والاحوال على أذلالها[٣] جارية » فأشار عليه ابن سعدان

(١) الجريض الغصة من الجرض وهو الريق والقريض الشعر واصل المثل ان رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه ابوه عن ذلك فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك فأذن له ابوه في قول الشعر فقال هذا القول . (٢) أسدرني حيرني ولم نجد هذا الفعل في الكتب التي بين ايدينا . (٣) في المثل : أجرِ الامور على أذلالها اي على وجوهها التي تصلح وتسهل وتتيسر ويقال جار به على أذلاله اي على وجهه وواحد الأذلال ذل بالكسر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان يدونه فجمع هذه الرسالة وابطأ عن تحريرها فلما مرّ على ذلك بعض سنين عثر على المسودة وبيضها .

وقد قال في مكان آخر : « قد اتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ومايتصل بالوفاق والخلاف والهجر والصلة والعتب والرضا والمذق والاخلاص والرياء والنفاق والحيلة والخداع والاستقامة والالتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار . ولو امكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه واجرى الى الغاية في ضم الشيء الى شكله وحبسه في قالبه فكان رونقه أبين ورفيقه أحسن ولكن العذر قد تقدم . ولو أردنا ايضاً ان نجمع ماقاله كل ناظم في شعره وكل ناثر من لفظه لكان ذلك عسراً بل متعذراً فان أنفاس الناس في هذا الباب طويلة وما من احد الا وله في هذا الفن حصة لانه لا يخلو احد من جار او معامل او حميم او صاحب او رفيق او سكن او حبيب او صديق او أليف او قريب او بعيد او ولي او خليط كما لا يخلو ايضاً من عدو او كاشح اومداج اومكاشف اوحاسد اوشامت او منافق او مؤذٍ او منابذ او معاند او مزل او مضل او مغل . وقد قال الاوائل الانسان مدني بالطبع وبيان هذا انه لا بد له من الاعانة والاستعانة لانه لايكمل وحده لجميع مصالحه ولا يستقل بجميع حوائجه وهذا ظاهر واذا كان مدنياً بالطبع كما قيل فبالواجب مايعرض في أضعاف ذلك من الاخذ والعطاء والمجاورة والمحاورة والمخالطة والمعاشرة مايكون سبباً لنظام الحال او يكون سبباً لانتشار الامر ولا محالة ان هذه وأشباهها مفضية بالناس الى جملة ما نعته هؤلاء الذين روينا نظمهم ونثرهم وكتبنا جورهم وانصافهم وذلك اعلى فنون ما قالوه ونظروه وعيون ماذكروه وتشروه وتروي في هذا الموضع بقية أبيات وان عنّ شيء حكيناه ونغلق الرسالة فانها اذا طالت أبغضت واذا أبغضت هجرت اه .

وهذا النموذج الضئيل الذي أوردناه من الصداقة والصديق كافٍ في الحكم على أسلوبها والروح الذي ينزع اليه في تأليفها . وملاحظة التوحيدي على ائتلاف المتضادين في العلم والتمثيل بصداقة أستاذه ابي سليمان المنطقي وصديقه ابن سيار القاضي ووصف ابي سليمان وصفاً دقيقاً للصلات التي عقدت بين قلبها ثم ابتدائه في وصف طبقات الاصدقاء كل ذلك من جميل الوصف والى اليوم ما اختل هذا التقسيم وان رأيت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الوفاء والصداقة فني النادر الشاذ . ومن أبدع الصفحات وصف غُربته في أمته غربة الفكر والاجتماع والنحلة والخُلُق والعادة . ولا بدع فهو من جيد الوصف في نفسية اهل عصره ومنزلة العالم بين جمهور الغاغة والغوغاء . ومن أجمل الاعذار اعتذاره عن طول هذه الرسالة علماً منه ان مكانة الكتاب بمادته لا بسعته ولكن اذا قضت الحال بالتطويل اضطر المؤلف الى اطلاق عنان بيانه .

مثال من مجالسهم

في كتاب الصداقة والصديق قوله : رأيت ابن سعدان ينشد يوماً وقد انكر شيئاً من بعض الندماء .

عدو راح في ثوب الصديق شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك ظاهراً و يسوء سراً كذاك تكون ابناء الطريق

وانا أسمي لك ندماءه ، وأروي كلاماً له وصفهم به . منهم ابوعلي عيسى بن زرعة النصراني المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، وابن الحجاج الشاعر ، وابوالوفاء المهندس ، وابن بكر ، ومسكويه ، وابو القاسم الاهوازي ، وابو سعد بهرام بن ازدشير . وكان أوزنهم عنده ، وألصقهم بقلبه ، وابن شاهويه . هؤلاء اهل المجلس سوى الطارئين من اهل الدولة لا فائدة في ذكرهم . قال زيد بن رفاعة وكان قريباً له من جهة الخوف له(؟) : رأيت الوزير اليوم يصف ندماءه بكلام يصلح ان يكتب على الاحداق ، و يعرض على اهل الآفاق ، ليستفيده الصغير والكبير . قال : اصحابي طرائق قدد ، كما قال عبد الحميد الكاتب : الناس أخياف مختلفون ، وأصناف متباينون ، فمنهم علق مضنة لا يباع ، ومنهم غُل مظنة لا يُبتاع . وكما قال الآخر :

الناس أخياف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الأدم

فأما ابن زرعة فكبره بالحكمة ، وخيلاؤه بالثروة قد قدحا في حاق[1] عقله ، وهو لا يحس بذلك القدح ، فليس لنا منه اذا جالسنا الا النفخ والتعظم والتهويل

(١) وسط عقله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بارسطاطاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط وفلان وفلان ، ومجالس الشراب تتجافى عن هؤلاء ، وهؤلاء يجلون عن مجالس الشراب ، يانائم ياغافل ياساهي ، واين انت من هؤلاء الحكماء القدماء أسيرتك سيرتهم ، أحالك حالهم ، انما تدعي عقائدهم باللسان ، وتنتحل اسماءهم باللفظ فاذا جاءت الحقيقة كنت على الشط تلعب بالرمل ولولا انه يكدر هزل جدنا بجد هزله لكان محمولاً مقبولاً ولكنه يأبى الا ماألفه وأفاد لمران عليه .

واما ابن عبيد فكلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والفصاحة قد طرحه في عمق الج لا مطمع في انتقاذه منه ولا طريق الى صرفه عنه هذا مع حركات غير متناسبة وشمائل غير دمثة ومناظرة مخلوطة بذلة اهل الذمة ودالة اصحاب الحجة .

واما ابن الحجاج فقد جمع بين حد القاضي ابي عمر في جلسته وحديثه وقيامه وتخطئته مع حياء كأنه مستعار من الغانية الشريفة وبين سخف شعره الذي لايجوز ان يكون لراويه مروءة به فكيف لقائله فنحن اذا نظرنا اليه تخيلنا صورة سخف شوهاء في صورة عقل حسناء ولا تخلص هذه من هذه ولا جرم استماعنا به قاصر عن مرادنا منه ودنوه منا ناب عن مراده له . اما الوفاء فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشهية الا ان لفظه خراساني واشارته ناقصة هذا مع ماستفاده بمقامه الطويل ببغداد والبغدادي اذا «تخرسن» كان أحلى وأظرف من الخراساني اذا «تبغدد» . وان شئت فضع الاعتبار على من أردت فانك تجد هذا القول حقاً وهذه الدعوى مسموعة .

واما مسكويه فانه يسترد بدمامة خلقه ما يتكلفه من تهذيب خُلقه واكره له المشاغبة في كل مايجري لايجد في نفسه من المكانة والقرار مايعلم معه انمضاءه في فن هو فيه طويل الذيل مديد السيل لا يأذن له في تعاطي فن آخر هو فيه قصير الباع بليد الطباع وصاحب هذا الرأي ممكور به مصاب بجيد رأيه وقد أفسده . قال المهلبي قال ابن العميد وفعل ابن العميد : وما ذكره لهذين الا استطالة على الحاضرين والتشيع بذكر الرجال واضع من قدر الرجال .

واما ابن بكر فهو تتمة المجلس ولا بد للدار وان كانت قوراء من مخرج وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بجهله مع خفة روحه وقبح وجهه أدخل في العين وألصق بالقلب من غيره مع علمه وثقل روحه وحسن ظاهره .

واما الأهوازي ابو القاسم فلا حلاوة ولا مرارة ولا حموضة ولا ملوحة وانما هو كالبصل في القدر وكالإصبع الزائد في اليد على انا نرعى فيه حقاً قديماً ونرحمه الآن رحمة حديثة .

واما سيدي ابو سعد فوالله اني لأجد به وجداً اتهم فيه نفسي وما وجدت ألم سهر معه قط واني ارى حديثه آنق من المُني اذا أدركت ومن الدنيا اذا ملكت . وإنّ تمازجنا بالعقل والروح والرأي والتدبير والنظر والارادة والاختيار والعادة ليزيد على حال توأمين تراكضا في رحم وتراضعا من ثدي ونوغيا في مهد وما أخوفني ان يؤتى من جهتي او أؤتى من جهته وان عاقبته موصولة بعاقبتي لاني مأمنه وهو مأمني وما اكثر ما يؤتى الانسان من مأمنه والله المستعان .

واما ابن شاهويه فشيخ ليس لنا فيه فائدة الا ما يلقي الينا من تجاربه ومشاهداته ولولا زيادته التي تصنع بها من نفسه وبعض من خطراته لكان هدّك (نِعْمَ) من رجل ولكن من لك بالمهذب ألم يقل الاول : اي الرجال المهذب .

قال زيد بن رفاعة : قلت ايها الوزير ان طلوعك في خبايا ضمائرهم وعلمك بخفايا سرائرهم يطالبانك بالافراج عنهم وقلة الاكتراث بهم قال : لا تفعل والله ماهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير وانهم لاعيان اهل الفضل وسادة ذوي العقل واذا خلا العراق منهم فرقن[1] على الحكمة المروية والادب المتهادَي أتظن ان جميع ندماء المهلبي يفون بواحد من هؤلاء او تقدر ان جميع اصحاب ابن العميد يشبهون أقل من فيهم . قال : قلت هذا ابن عباد بالريّ وهو من يعرف ويسمع . قال : ويحك وهل عند ابن عباد الا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون وهو فيما بينهم بصيح ويقول قال شيخانا ابو علي وابو هاشم دعنا من حديثه وغثاثته وشعبذته فما احب ان أزيد في وصفه على ما أشرت اليه والله لو تصدى انسان متوسط في العلم والادب

(١) البرقين مواضع في الحُسبانات لئلا يتوهم انها بيضت كي لا يقع فيها حساب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحنكة والانصاف لذكر شأنه وسيرته ، ووصف حاله وطريقته ، لحكى كل غريبة ، واتى بكل أعجوبة . الرجل مجدود ، وفي زمرة اهل الفضل معدود .

قال : رويت هذا الخبر على ما اتفق وكنت أطلب له مكاناً منذ زمان فلم اجد الا هذه الرسالة الآنية على حديث الصداقة والصديق اه » .

عرفنا بهذا الضرب من التدوين طبقة راقية من العلماء في عصر التوحيدي وما يغنزهم به الغامزون ، وأنى يغتابهم المغتابون ، ولو كتب لنا الاطلاع على جميع ما كتبه ابو حيان في كتبه : المحاضرات والامتاع والبصائر وماتخلل المجالس التي روى أخبارها مما شهده بنفسه اونقله اليه معاصروه الثقات — لجاءت السلسلة تامة من كل وجه في الحكم على اهل القرن الرابع في بغداد ولتبدل الحكم عليهم وناقضت أحكامه أحكام بعض من نقلوا تراجمهم كأنها حكم مسمط لا ينقض .

« للبحث صلة »

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net